

الموت الفرعونى :

حياة أخرى . !

الحياة مرحلتان : أن نعيش . وأن نعيش بعد الموت . أو بعبارة أخرى : هذه الحياة هي مرحلة الإعدادية والثانوية ، والموت هو الجامعة .. أو بعبارة ثالثة : إن الإنسان في هذه الحياة كمن يطارد بطة ، فيجري وراءها ، ثم يجد نفسه في أرض غريبة لم يرها من قبل .. هذه الأرض الغريبة هي الحياة بعد الموت .

هذا هو معنى الحياة بعد الموت عند الفراعنة . فهم يرون أن الحياة بعد الموت هي الحياة الحقيقية ، وليست حياتنا هذه إلا نوعاً من العمل الطيب لا دخار الحسنات والأموال التي تنفعنا عند ما نذهب إلى العالم الآخر ؛ ولذلك حرص الفراعنة على تحنيط الموتى فهم يخرمون الدماغ حتى يخرج منه المخ ثم يحنطونه ، ويخرمون البطن حتى تخرج منه الأحشاء ثم يحنطونها ويضعونها في إناء إلى جوار الميت . وفي سبعين يوماً يتم تحنيط الميت بوضعه في الصمغ وفي العسل وفي الأملاح والعطور وتجفيفه .. ثم صبغ أظافر الأرجل واليدين وتثبيت الأظافر بسلوك من الذهب .

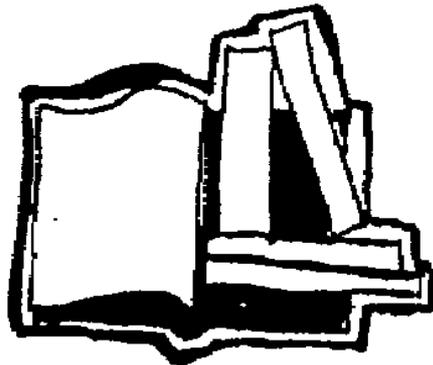
وحول قبر الميت يرسمون له خريطة الحياة الثانية . وتتحول جدران المقبرة إلى « بطاقة شخصية » يصفون فيها ملامح الميت وأعماله وما يحبه من الأكل والشرب وما قدم من حسنات ، ويشرحون له كيف يستعمل أدوات العمل والزينة .

وعندما تنكسر ذراع أو رجل أحد الموتى يضعون له أطرافاً صناعية .
 وكثيراً ما قام الملوك بنيش مقابر خصومهم من الموتى ، وشوهوا صورهم
 ونفقأوا عيونهم . لماذا ؟ حتى يعيش هؤلاء مشوهين بعد الموت . والملكة
 حتشبسوت بعد أن ماتت قام زوجها الثانى وهو فى نفس الوقت ابن
 زوجها الأول من امرأة أخرى ، فحطم تماثيلها ، وبما اسمها حتى
 إذا بعثت بعد ذلك كانت بلا اسم .. كانت فاقدة الذاكرة ، فلا
 تعرف أنها كانت ملكة أو خادمة ملكة !

ومنذ أشهر أعلن بعض الأطباء الإيطاليين أنهم عثروا على عقود
 ذهبية وماسية فى موميا مصرية .

وقالوا إن هذه العقود كانت موجودة تحت اللفائف التى تحيط
 بجسم الميت .. ويظهر أن الفراعنة قد لجأوا إلى نفس الحيلة التى
 يلجأ إليها مهربو المخدرات الآن : أى إخفاء المخدرات فى أماكن من
 الجسم . والفراعنة يمتثلون بذلك على اللصوص حتى لا يكونوا مفلسين
 يوم القيامة !

ومن المؤكد أن هؤلاء الملوك سيمدون أيديهم إلى الناس يوم
 « القيامة الفرعونية » بعد أن سرق منهم اللصوص والحواجات كل شيء !



البوصيرى أصدقهم

رجل طيب مؤمن ، كان عندي إحساس أن شيئاً سوف يحدث له . كان إذا تناول طعامه انفرد بنفسه في انتظار ذلك الشيء .. وإذا نام ذهب إلى غرفة بعيدة وتمدد على الفراش وانتظر .. لم يكن ينتظر الموت ، وإنما كان عنده إحساس غريب بأن زائراً سوف يدق الباب ، وأن هذا الزائر من بلاد بعيدة ، وأن لديه رسالة خاصة .. ولكن من أين أتى بهذه الإحساسات ؟ لا يعرف . وإنما يجب عليه أن ينتظر وأن يكون نظيفاً طاهراً . ولم يحدث أحداً من الناس في ذلك . وكان هذا الرجل نصف مشلول . وفي نومه رأى النبي ولسه بيده الكريمة ، ونهض الرجل الصوفي ، هو الشيخ البوصيرى ، وهو شاعر مصرى ظريف أيضاً .

ويقول البوصيرى : إن الرسول أتى عليه « بردة » أى ثوباً . ووجد البوصيرى نفسه ينظم قصيدته الحميلة التي اسمها البردة في ١٨٢ بيتاً ، ولم يكملها مرة واحدة ، وإنما توقف قبل نهايتها ويقول إنه رأى الرسول مرة أخرى فأكمل له أحد أبياتها ...

ولم تنتشر قصيدة في مدح الرسول كما انتشرت « بردة » البوصيرى هذه . فالتناس بقرعونها في كل البلاد العربية ، في الصباح والمساء ، ويتبركون بأبياتها وبتلاوتها ، وقد طبعت هذه القصيدة في كل عواصم الشرق الأوسط ، وترجمت إلى كل اللغات ، وقلدها مئات الشعراء . وأشهر الذين قلدها البوصيرى أمير الشعراء شوقي في قصيدته المعروفة :

« نهج البردة » أى على نهج البردة - والى تغنى أم كلثوم بعض أبياتها
ولكن البوصيرى كان أكثر إيماناً ..

فالبوصيرى فى قصيدته يشكو من عذابه فى حب الرسول وأهل
البيت ، ويطلب من الناس أن يعذروه .. فىقول :

يا لأئمى فى الهوى العذرى معذرة

منى إليك ولو أنصفت لم تلم

وقبل البوصيرى قال الشاعر ابن الفارض :

يا لأئمماً لا منى فى حبيهم سفهاً

كف الملام فلو أحبيت لم تلم

وبعد البوصيرى قال شوقى :

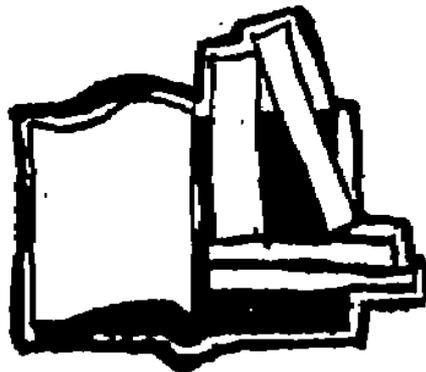
يا لأئمى فى هواه والهوى قدر

لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

ولكن البوصيرى كان أصدق وأكثر إخلاصاً وأكثر شفافية ،

وأكثر استغراقاً فى فنه حتى رأى الرسول فأنشدها .. لقد شفاه الإيمان ،

ونخلده الفن ا



نحن والسياح ...

من هو السائح ؟

إنه زبون أجنبي اختار بلدنا ليستريح . ولذلك يجب أن نحرص على أن يستريح . في أثناء الراحة يجمع معلومات عن بلدنا . ونحن حريصون عليه وعلى راحته وعلى المعلومات التي يلتقطها عن بلدنا لنبديها في بلاد أخرى . أى المطلوب هو أن يتحول السائح إلى صديق يتذكر مزايا بلادنا ويغفر لنا عيوبنا . ولا يوجد بلد في الدنيا خال من المزايا وبمجرد من العيوب . فالمطلوب من السائح أن يمتنع لنا الزلط وألا يعد علينا الغلط . وهذا مطلب مستحيل ؛ لأننا أنفسنا لا نمتنع الزلط وإنما نلقى بالزلط على الأرض . ولأننا أيضاً نبالغ في أخطاء أنفسنا . فليس من السهل إرضاء كل الناس : المواطنين والسائحين . والناس لم يعد لديهم صبر . كل إنسان يريد - بسرعة - أن يصل إلى ما يريد ، أن ينصلح حاله وحال الدنيا كلها في أقصر وقت ممكن . وهذا مستحيل !

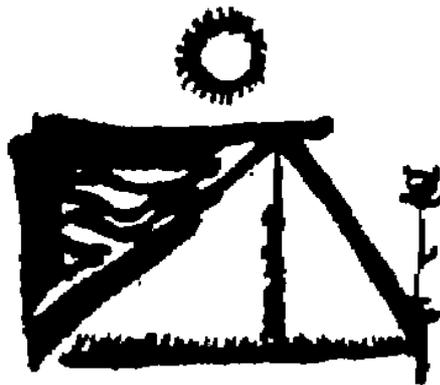
ولذلك أمامنا وقت طويل لإصلاح عيوبنا . فالسائح لن يرى بلادنا جنة تجرى من تحمها الأنهار إلا بعد وقت طويل ، وهذا طبيعي . فعلى الرغم من حرصنا على أن نريح السائح ، فإننا حريصون على أن نريح المواطنين ، وحريصون على أن يتفرج السائح علينا ونحن نعمل على راحة أنفسنا : بالعمل واللهو .

ولكى نصلح عيوبنا ، أمام أنفسنا وأمام غيرنا ، نحن في حاجة إلى زمن طويل . يجب أن نعرف الحجم الحقيقي لعيوبنا ، وأن نعلم كيف يمكن إصلاح العيوب ، فإذا أصلحناها يجب أن نتعلم كيف لا نعود إليها ...

مثلا : في كثير من شوارع القاهرة طوب وزلط .. وحفر على جانبي الطريق . وإلى جوار الحفر انخلعت أعمدة النور . وهذا منظر مخيف - مخيف لنا - لأننا نخشى أن تقع عيون السياح الأجانب !

ولكن كيف يمكن أن نمد الأنابيب دون أن نحفر الأرض ؟ وكيف يمد السياح الأنابيب في بلادهم ؟ كيف نبني بيتاً جديداً دون أن يكون هناك تراب وزلط وضوضاء ؟ كيف نسوى الشوارع ونرصفها دون تعطيل لحركة المرور ؟

إن الخوف من السائحين لا يخيفنا ، لأننا نعمل في بلادنا ما هو ضرورى وما هو طبيعى . وإذا لم نعجب السياح هذا العام فسوف نعجبهم في الأعوام القادمة ..



الملاعب والشوارع

اللهم لا اعتراض على الكرة ولعب الكرة والاهتمام بها .. ولا اعتراض على أن الكرة قد أدت إلى الاهتمام بالأقاليم وأبناء الأقاليم ، والناس الطيبين الذين لم تسعدهم الظروف بأن يولدوا في القاهرة ، ويكونوا من أبناء أعضاء أندية الأهل والزمالك والترسانة ..

ولا اعتراض على أن يتعلم الناس الطاعة والنظام وحب القانون واحترام الحكام ، في أثناء اللعب وفي أثناء مشاهدة المباريات ..

ولا يمكن أن يكون هناك اعتراض على أن يتعلم اللاعب من خلال التمرين والحرص على اللياقة : أن يعنى بصحته الجسمية والنفسية .

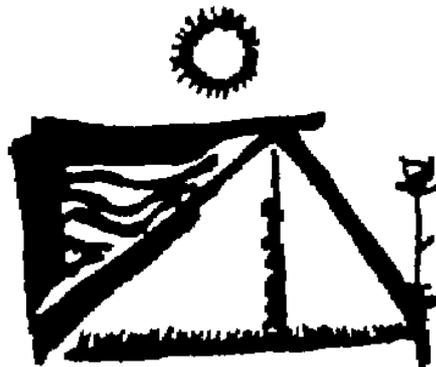
وطبعاً لا اعتراض على أن تلتقط الكرة عدداً كبيراً من الكتاب والنقاد الفنانين الذين يحولون مباريات كرة القدم إلى أعمال أدبية ممتعة ، وإلى أن تصبح الكتابة الكروية والرياضية عموماً ذات أسلوب خاص ولها تعبيرات جديدة سريعة .

إن كرة القدم قد أكسبت الناس لاعبين وميفرجين وكتاباً : دماء جديدة ومعارك غريبة ، مثيرة .

لا اعتراض على شيء من هذا كله . ولكنى أعترض على أن تتحول شوارع القاهرة إلى ملاعب لكرة القدم . والشوارع - كأية ملاعب - فيها خطوط للملعب . وبدلاً من خشبات المرمى ، تمتلئ الشوارع بالطوب والزلط . ولأن اللعب يجرى ليلاً ، فالطوب يجب أن يكون عالياً بارزاً ، ولأن كرة القدم تستغرق اللاعبين الصغار ، فإنهم لا يدرون

بالسيارات من ورأيهم وأمامهم ؛ ولذلك كثيراً ما توقفت السيارات حتى تتفادى اللاعبين الذين استغرقهم الرياضة الشعبية، وكثيراً ما عجزنا عن تفادى اللاعبين . وهؤلاء اللاعبون الشباب لا يحملون معهم كل ليلة معالم الملعب . ولذلك يتركون الطوب والظلط في مكانه . وهذا الطوب لا يتحرك - طبعاً ، وإنما تتحرك إليه السيارات وتتكسر بسببه . فالطوب هو الكرة العتيقة التي يجرى إليها الهدف كل يوم وكل ليلة !

ومن الغريب جداً أن نجد ملاعب كرة منصوبة ليلاً ونهاراً إلى جوار محافظة القاهرة .. وأغرب من ذلك أن نجدها في شارع الجلاء أمام مبنى المرور . إن احترامنا للشارع ولللاعبين في الشارع ورجل الشارع لا يمكن أن يذهب إلى أن ندوس الشارع وقوانين المرور والحركة في الشارع .. ولا أن تصبح كرة القدم أسلوباً مهذباً للانتقام من كل صاحب سيارة يصطدم في الليل بطوب الملاعب وزلطها .. ويظل صاحب السيارة المسكين يهلوس طول الليل ويحلم بقطع الغيار . إننا يجب أن نعدل بين الشوارع والملاعب ، فالكرة للملاعب ، والمرور للشوارع !



أنواع من الناس . . .

هناك ثلاثة أنواع من الناس : واحد يريد أن يعيش . وواحد يريد أن يستفيد ، وواحد يريد أن يفيد !

والذى يعيش فقط هو مثل النباتات والحيوانات ، لا يسأل نفسه ما معنى هذه الحياة ؟ .. ما معنى حياتى ؟ .. إنه يريد أن يأكل ويشرب وينام فى أثناء النوم يجىء الأطفال ويتقدم فى السن ويموت . وهذا النوع من الناس ليست له مشكلة . ولذلك فهو لا يقرأ ولا تهمة القراءة . ولا يهمة أن يفكر فيه أحد ، لأنه لا يفكر فى أحد . ولهذا السبب سأكتفى بهذا الكلام عنه .. !

أما الذى يريد أن يستفيد من الحياة فهو ينظر إليها على أنها صفقة تجارية . وهو يصحو وينام على سؤال واحد : ما الذى كسبته اليوم ؟ ومن أجل المكسب فإنه يدوس الناس والقيم الإنسانية . فمثلها الأعلى هو النجاح .. النجاح بأى ثمن . ولكى يحقق النجاح ينافس الآخرين . وعندما ينافسهم يكرههم ويحقد عليهم . والحقد يدفعه إلى الجريمة . والجريمة تكبر فتصبح حرباً .. تشنها دولة على دولة .. دولة تريد أن تبيع بالقوة وتكسب بالقوة . ومن أجل المكسب تحرق الزرع وتطحن الحيوانات .. وتدفن الناس .. وحيث توجد التجارة الجشعة توجد الطبقات . والحقد الطبقي . والاحتكارات .. والاستغلال والانهيارات العنصرية . والصفحات السوداء فى تاريخ الإنسانية كتبها التجار بدماء الزبائن .. بدماء المستهلكين !

والنوع الثالث هو الذى يسأل نفسه دائماً : ما الذى أستطيع أن أضيفه لحياة الناس ؟ .. ما الذى أستطيع أن أعطيه ؟ .. إنه فنان يتذوق الحياة ويفهم معناها . ويحرص على أن يقدم للناس شيئاً ، يجعل لحياتهم معنى . ويجعل للمعنى هدفاً . ويجعل الطريق إلى الهدف مفروضاً بالحب والسلام والتعاون بين الناس . إن مثل هذا النوع من الناس يعطى راحته .. ويبذل حياته .. وكل الذين ساهموا فى إسعاد الإنسانية لا يمكن أن يكونوا تجاراً للحياة .. ولا يمكن أن يكون الاستغلال أسلوبهم .. ولا النجاح بالدماء شعارهم من أجل إسعاد البشرية وإذا كانت السعادة هى الغاية التى يريدونها كل إنسان . فإن أحداً لا يعرف - بالضبط - ماذا تعنيه كلمة السعادة . إنها مثل الصحة - نحسها ولا نعرف ماهى .. إنها مثل الكهرباء نعرفها ولا نراها فالسعادة ليست بترقالة نقطفها ونقشرها ونأكلها بعد ذلك .. إنها مجموعة أشياء كثيرة معاً ..

وإذا بحثنا عن السعداء نجد أنهم هؤلاء الذين يفرسون شجرة ويبنون بيتاً ويؤلفون قصيدة .. هؤلاء الذين يملأون وقتهم بالعمل المفيد . فالسعادة هى أن يجد الإنسان نفسه مشغولاً بشيء مفيد .. وأن يجد هذا الانشغال لذياً !

مشكلة الجيل الحديد ...

مشكلة الجيل الحديد - تعبير تراه كثيراً في كل صحف ومجلات العالم . ومعنى ذلك أن للجيل الحديد مشكلة أو أنه هو مشكلة الدنيا كلها .. أى أن هذه المشكلة « ظاهرة » اجتماعية ونفسية واقتصادية . وتكرار هذا التعبير معناه أن الموقف لم يتغير ، وأنه لا بد من حل ، وأن هذا الحل مطلوب بسرعة .. فهذه الأجيال الجديدة هي التي سوف تتسلم الشركة الهائلة التي صنعها الآباء والأجداد بالعرق والدم ، أو بالعرق بلا دم ، أو بالدم بلا عرق .. وتعبير « الجيل الحديد » يبرز جداً كلما وقعت جريمة بطلها شاب . كأن الشبان وحدهم هم الذين يرتكبون الجرائم .. فإذا ارتكبها رجل عجوز لا تعد جريمة .. كأن تشتعل حرب عدوانية على شعب آمن ، ويروح ضحيتها ألوف من الشبان ، لا تكون هذه الحرب جريمة - فیتنام مثلاً !

ومع ذلك فالجيل الحديد مشكلة . وهي ليست مشكلة هذا العصر بالذات ، وإنما مشكلة كل عصر ، ففي كل عصر جيل جديد وجيل قديم ، والذي يصف الجيل الحديد بأنه مشكلة إنما هو الجيل القديم !

ومشكلة الجيل الحديد الآن أنه لا يريد أن يرتبط .. لا يريد أن يكون مشغولاً .. وإنما يريد أن يكون حلقة بلا سلسلة ، وأن يقف وحده ويترك المسرح لغيره ، ثم يخرج من منتصف المسرحية ، أو ينام في أثناء التمثيل !

وانتشار المخدرات بين الشبان في أمريكا - مثلاً - ليس إلا نوعاً من الحرب من مواجهة مجتمع يطحنه طحناً ويتجاهله تماماً . فالمثل الأعلى في المجتمع الأمريكي : وكل المجتمعات الرأسمالية هو النجاح بأى ثمن ! النجاح بالغش وبالقتل .. ولا يهم أبداً أن يكون المواطن هو الضحية .. والمواطن هو المستهلك الذى تبيعه وتشتريه وتحببه وتميته شركات الطعام والشراب والدواء والسلاح !

ولكى يرتبط الشبان ويصبحوا حلقات فى سلسلة واحدة لا بد أن تكون لهم قضية .. وأن تكون لبلادهم قضية إنسانية . ولا بد من توعيتهم وتبصيرهم بمشاكل بلادهم ومشاكل العالم . ولا بد من تجنيدهم من أجل هدف إنسانى ولا بد من « تهديف » أفكارهم وأحلامهم . ولا خوف من الهدف ووضوحه وقوته مادام من أجل الحياة واستمرار الحياة الكريمة .

ولذلك يتضاءل باستمرار عدد الشبان المنفرجين فى بلادنا .. لأننا جميعاً أصحاب قضية إنسانية وأنا دعائها وحماتها ..



جرائم بحسن نية . . .

أصبحت « الخادومات » في البيوت مشكلة - وقبل أن تغضب لاستخدامى كلمة « الخادومات » أبادر فأقول بأننا جميعاً نخدم بعضنا بعضاً .. فأنا خادمتك وأنت خادمتى .. وكلنا نخدم مصالحنا في إطار الدولة ! وقد سمعت في مدى شهر عن عشرات المشاحنات والمشاجرات بين خادومات البيوت وسيدات البيوت . وهى مشكلة ليس من السهل حلها الآن . فسوف تكون هناك خادومات في البيوت . ولا يغير من هذا الوضع أن تعدل كل النساء عن العمل خارج البيت إلى البقاء في البيت . فسيده البيت لا تستطيع وحدها أن تقوم بكل العمل مثل صابون أومو !

وحتى في البلاد التي استخدمت آلات الطبخ والنظافة الحديثة لم تستطع أن تستغنى عن الخادمة أو مربية الأطفال أو مديرة البيت - إذن سوف تبقى هناك خادومات في البيوت .

وقد سبق أن شكوت من الأفلام التي يعرضها التليفزيون والتي تقوم فيها بدور الخادمة أجمل فتيات الشاشة عندنا ، وتقوم بدور سيده البيت نساء أقل جمالا . وينتهى الفيلم نهايته الطبيعية المعروفة من أول لحظة : بأن يتزوج سيد البيت أجمل من في البيت : الخادمة ! والمطبات التي تقع فيها سيدات البيوت عادة هي أن يشاهدن هذه الأفلام مع خادماتهن !!

وهذه الأفلام تسهوى عدداً كبيراً من الناس .. عدداً كبيراً

من اللاتي يحملن بزواج الرجل الغنى .. أو بالانتصار على المرأة
أم العيال .. كما أن هذه الأفلام تشعل نار الحقد الطبقى وتغرس في
نفوس الناس موقفاً شاذاً وتوهمهم بأن الموقف الطبيعي : أن يكون الزواج
خطفاً .. خطف الخادمة لسيدها وضرد سيدتها وأولادها !

وسوف يحدث مثل هذا وأكثر من هذا .. فالكرهية والحقد والطمع
لا تاريخ لها .. فقد ولدت وكبرت وتطورت مع الإنسان نفسه .

ولكن ما الذي يجب أن نفعله نحن الذين نحمل مسؤولية التوجيه
والتوعية ؟ هل نناق كل من يعمل عند أحد ؟ هل نظل نؤكد للخادم
أنه على حق وسيده غلطان ؟ هل نؤكد للساكن أنه على حق والمالك
غلطان ؟ هل نؤكد للموظف أنه على حق دائماً ورئيسه غلطان ؟

إن التأكيد على هذه المعاني تضليل وتخريب للقيم الاجتماعية والأخلاقية .
والفن ليس إلا نوعاً من تطهير النفوس وإمتاعها بكل معنى جميل وقيم صحية .
والفنان ليس إلا طبيباً لأمراض النفوس والأجسام والعلاقات الاجتماعية ..
إن معظم الحوادث التي سمعت عنها . وأصدقها . كانت تهوراً
من الخادمت .. لم تكن لديهن أية أسباب وجيهة .. وإنما لديهن
عبارات سمعتها في فيلم . أو قرأتها في قصة . وكذلك كل موظف
اعتدى على رئيسه لم يكن إلا ضحية لوجبة دسمة من النفاق الذي
طبخه بعض المؤلفين بحسن نية - وما أكثر الجرائم التي يرتكبها الناس
بحسن نية !